«لا يمكن لأحد أن يكون مسؤولاً ويصاب باليأس بآن واحد»

كتاب طيار حربي للكاتب إيكزوبري (1900م ــ 1944م)

الفصل السابع

ما العمل؟
ماذا على كل أن يفعل؟

إلى القراء الذين تحلوا بالصبر بمرافقتنا حتى الآن، أو إلى الذين قلبوا بسرعة فهرس الكتاب ليصلوا إلى الباب الأخير، كي يحصلوا على بضع وصفات سريعة ورخيصة ليحلوا مشكلة أطفالهم والتلفاز، نحب أن نقول وبأعلى صوتنا: بأنهم لن يجدوا خلال الصفحات التالية خطة يتبعونها عامة ومنقذة بآن واحد.

أولاً: لأنه لو كانت هناك خطة فنحن لم نجدها بعد، ثم لأننا نرفض أن ندعي الحق والكفاءة في «إعطاء الدروس» في مجال كثرت فيه المتغيرات النوعية والاجتماعية والتعليمية وتنوعت.

الوالدان اللذان لا يمكن استبدالهما

إن استنتاجاً تخلص إليه كل الكتب والدراسات واستطلاعات الرأي والوثائق المتعلقة بالتلفاز والأطفال هو: أنّ دور الوالدين والوسط العائلي الأساس في التعلم واكتساب المهارات، وفي إدارة الوالدين والوسط العائلي الأساس في التعلم واكتساب المهارات، وفي إدارة هذه الوسيلة الإعلامية المدهشة والمثيرة للجنون بآن واحد والسيطرة عليها، والتي تُدعى: التلفاز.

أمـر بَدَهِي؟ ربما! ولكننا نعتقد أن الطريقـة الأمثل هي نسبة كل شيء لفاعله، وأن نعيد للأهل مهمة تربية أطفالهم، فمن جانب يجب علينا دعم الوالديـن في دورهـم كأول المربـين، ومن جانب آخـر تشجيعهم من خلال تأكيد فكرة أن الوقت ليس متأخراً لزيادة الجهد المبذول.

obeikandl.com

إن إلقـاء مسؤولية ثقافـة تلفازية سليمة على عاتـق الوالدين فقط هو ليـس إلزام قيصر بما يجب أن يفعله بونس بيـلات، ولكنه دليل على جهل مُطبـق بقدرة الوالديـن على التربيـة، وبالوقت والجهـد اللذين يمكن أن يخصصهما الوالدان لهذا الأمر.

لا شك في أن دور العائلة هو الأساس في هذا المجال، كما هي الحال فيما يتعلق بالنجاح المدرسي، و إن الفشل الواضح لمحاولة مساواة الفرص أمام الدراسة يُظهر بجـلاء استحالة إزالة الفوارق الاجتماعية والثقافية، حتى في مؤسسـة لهـا جدية و نظام وترتيب المدرسـة، إضافة إلى كونها مجانية وإجبارية.

فالتلفـاز سـواء أحببنـاه أم كرهناه هـو الآن وسيبقى وسيلـة الترفيه السهلـة والمفضلة لدى العديد مـن بني البشر، وعند الأغلبية الساحقة من أطفالنـا، إن مُحبي التلفاز النادرين مثل آريـان و فرانسوا ماريه يسرهم هذا الكلام، ويجدون في الساعات التي يقضيها الأطفال أما التلفاز الخيط الأحمـر الذي يربـط الطفولـة بالتقنيات الحديثـة وتطبيقاتهـا المنزلية، ولكنهـم لا يستطيعـون إسـكات التسـاؤلات المُبررة لكل المُربـين تجاه هذا التلفاز الذي يصطاد الأطفال.

ما العمل؟ وما مسؤولية كل شخص؟

إلى جانـب الوالديـن ـ وهما القاعدة الصلبة للتربيـة ـ رقيقي القلب، واللذيـن يتمتعـان بقدرة كبيرة علـى التحمل، يوجد شـركاء آخرون يجب عليهـم التدخـل وربما التعاون ليساعـدوا أطفالنا على جعـل هذه الوسيلة الإعلامية المسلية إلى حد كبير والمخدرة بآن واحد عبداً مُطيعاً بدلاً من أن تكون سيداً متسلطاً.

من بين هذه الأطراف المعنية بالأمر، و المصابة بالدهشة أحياناً يمكننا أن نُعـدد السلطـات التشريعيـة العديـدة، ومُحـترفي التلفـاز، والمدرسين وأعضاء السلك التعليمي، والأطفال أنفسهم طبعاً.

إن الأمـور الآتية ليست شاملة، ولا تتعدى عـدة نصائح نسمح لأنفسنا بتوجيههـا إلى من يعنيهم الأمر، وسواء كانت توبيخية أو غير موضوعية أو بسيطـة أو حرفية فالقارئ سيحكـم ويجرب ويتنبى أو يتأقلم معها بحسب رغبته وحاجاته وتعقله وشجاعته.

كيف ندافع عن أنفسنا في وجه التلاعب؟

مـا العمل؟ هل هو كسر التلفـاز، أم التوقف عن قراءة الجريدة؟ هـذا لن يمنع المعلومـات المشوهة من إحداث الخـراب فيما حولكم. إذاً ماذا بإمكاننا أن نفعل في وجه وسائل الإعلام هذه التي تجتر نفس المشاهد ونفس المعلومات؟

نريـد أن نختم كلامنا ببعض الاقتراحـات الجدية، على مختلف المستويـات، لمستهلكي المـادة الإعلامية، كيف يمكننـا كشف وتحليل محاولات التلاعب بالرأي بأنفسنا؟

هل من الممكن إصلاح وسائل الإعلام بشكلها الحالي؟ أو الضغط عليهـا على الأقل؟ هل يمكننا أن نلعب دوراً فاعلاً في الإعلام دون أن نكـون من أهـل الاختصاص في هذا المجال؟ هـل توجد صحافة غير خاضعة لنظام الهيمنة؟ أو طريقة للقراءة الناقدة؟

الإعـلام لا ينجو مـن قانون القـوة والسيطرة الـذي يتكلم عنه. فالذي ينشر معلومة يتوقع أن يكون لنشرها أثر، وصحافتنا حسب ما

تؤكده لنا غير مستقلة، وهي ضمن المنظومة الاقتصادية والسياسية للأغنياء والمسيطرين في هذا العالم، ولذلك فهي عندما تنشر معلومة، فالموقف المنطقي يقتضي أن نتساءل من وراء هذه المعلومة، ولصالح من يتم نشرها؟

إن الحفاظ على الاستقلالية كان أسهل، ونشعر بذلك عندما نعيد قراءة مقالات كُتبت قبل ثلاثين أو أربعين عاماً، في مقالات تلك الحقبة حول حرب المستعمرات في الجزائر أو فيتنام يمكننا اليوم أن نستشف بسهولة أكبر المصالح الاقتصادية غير المعلنة، والعنصرية والأفكار المسبقة المبنية على نظريات أديولوجية مبطنة، اخترع المؤرخون طرق «النقد التاريخي» التي تسمح بتقييم دقة الوثائق وشهادات الناس على ما حصل في الماضي، إن الأمر المثالي هو أن نستطيع قراءة جريدة حالية بنفس الرؤية، ونفس النظرة الناقدة أمام أي معلومة وخاصة تلك الصادرة عن وسيلة إعلام تدعي الحيادية والاستقلال، إليكم خمسة أسئلة أساسية يجب عليكم طرحها.

1. من أصل المعلومة؟
2. ما المصلحة الذاتية في هذا الأمر؟
3. ما الأيدولوجية التي تحرك الشخص المتكلم؟
4. هل هو ينقل لنا بأمانة وجهة النظر المخالفة، أو يدلنا أين يمكن أن نجدها؟
5. هل يوضح لنا الأسباب الحقيقية للمشكلة؟

ميشيل كولون صحفي وكاتب في الجريدة الأسبوعية البلجيكية «سوليدير».

obeikandl.com

العاملون في حقل التلفاز

لنتذكر أولاً أن التربية والثقافة مازالتا هدفين مُعلنين بوضوح ضمن التزامات التلفاز الحكومي.

ورغم ذلك، وتحت ضغط المنافسة فإن الجزء المخصص للتسلية قد ازداد خلال سنتين في أوربا بنسبة تزيد عن 10%، وتشكل البرامج الأمريكية التي تقترب قيمتها التربوية والثقافية من العدم 21% من وقت الإرسال على مختلف المحطات في القارة الأوربية في العام 1987م. وفي سويسرا بلد المُربين المشهورين العظام، والتي كانت إذاعتها ومحطاتها التثقيفية تذكر دائماً كمثال في السبعينات، بُرمجت على محطة التلفاز السويسرية الناطقة بالفرنسية في العام 1989م أربعون ساعة بث تعليمية فقط، وهذا يُعادل خمسة عشر يوماً في سنة مشاهدة تلفازية للطفل.

تصرح بوليت مانيونا ـ المسؤولة التربوية، ومنتجة البرامج في المحطة الثقافية ـ: «تُعرض البرامج التربوية في أوقات المشاهدة الضعيفة، وهذا يعني في أوقات من النهار يستحيل فيها الحصول على نسبة عالية في سوق المشاهدة، فالنسبة للتلفاز السويسري الناطق بالفرنسية، لا يعتبر تثقيف الأطفال والبالغين من مهامه ذات الأولوية!» الكلمة المتداولة على الألسن هي: «الحصة في السوق»! إن خصخصة المحطات الحكومية وتكاثر المحطات التجارية أدت إلى كون الإعلانات الوسيلة الضرورية للاستمرارية، وأدت حُمى نسب المشاهدة ومتابعة التلفاز لإلهاب محطات التلفاز الحكومية، وجعلت من منتجيها ومُقدميها أبناءً للدعاية والإعلان، ذوي شرف مهني مطاط إلى حدٍّ كبير.

فيجب الحصول على رضا الجمهور، وأن يُقدم له ما يريد: تسلية سهلة ولُعباً جماعية ومسلسلات عاطفية و فكاهية، و أفلاماً فيها شيء من الإثارة الجنسية تُدعى أدباً أفلاماً ديناميكية... صوت الشعب!

وعندما يُسأل المسؤولون في المحطات التلفازية عن العنف أو التساهل في عرض البرامج المنحلة، فإنهم يجيبون بدون تردد: بأن مهمة التربية منوطة بالوالدين وربما المدرسة، وأن مهمتهم الرئيسة هي إدارة هذه الشركات بقدر ما يستطيعون، لتأمين مرتبات العدد الكبير من العاملين فيها، وأن الدعاية التلفازية ومن ثم نسب المشاهدة هي شر لابد منه، وأن الحرب بين المحطات ضروس، وبما أن المال لا رائحة له، وأن الإنتاج التلفازي المحلي غالٍ إلى هذه الدرجة، فيجب التوقف عن إزعاجهم بالحقد الرصين لأمهات الفضيلة، وأن كل المنافسين يفعلون نفس الشيء.

لا يمكننا إلا أن نوافق على هذه الحجة الأخيرة فهيئة الإذاعة والتلفاز البلجيكية الناطقة بالفرنسية RTBF تشابه كثيراً هيئة الإذاعة والتلفاز السويسرية الناطقة بالفرنسية RTSR، والتي تقلد بدورها إلى حد كبير محطة التلفاز الفرنسية الحكومية الثانية France 2، والتي لا توجد بينها وبين المحطة الفرنسية الأولى TF1 الخاصة والمثيرة للجدل فروق كبيرة.

هل هذا مؤشر لانتصار الرأسمالية العتيدة وعقلية الرداءة المنفلتة في أدنى مستويات الانحطاط الثقافي؟ فما فائدة التبجح بالمنافسة الحرة، والحرية الكاذبة للمشاهدين الذين بإمكانهم الاختيار بين عشرين محطة متشابهة، كونها تسعى وراء نفس الأهداف؟

obeikandl.com

ما مبرر محطات التلفـاز الخاصة التي تحذو حذو المحطات الأمريكية في تغطية أحداث المجتمع الأكثر غباءً والأكثر دَموية وعُنفاً، لترضي حاجة الجمهـور للحصول علـى جرعته من الإثـارة ومنظر الدم؟ ولمـاذا يسمح لأشخاص ومصورين محترفين بالوجـود في شوارعنا يتصيدون الأحداث الساخنة الحية، ويترصدون مشاهد الدم التي تسبق الموت، ويصورون جثثاً هامـدة مازالت دافئة، وقاتلـين وهم في أوج فعاليتهـم. وإذا كان الأطفال يشاهـدون ذلك فالأمـر سيان لسـوء أو لحسن الحظ، فهـذا يزيد مشعر المشاهـدة، إضافة إلى أنه يفتح عيونهم على ما يجري في الحياة الحقيقة، إن هـذا الأمـر تربـوي حقاً، وفاضـح إلى حد كبـير! وتلخص الصحفية ساندريـن كوهين الموضوع كما يلي: «كواسر حقـيرة ومحطات تلفاز دنيئة تحاول أن ترضي ضميرها بتأكيد أنها تعرض على المشاهدين ما يريدون، بدل أن تعرض عليهم ما يمكن أن ينال إعجابهم».

لحسن الحظ نحن في أوربا لم نصل بعد إلى هذا الحد، وبعض الصحفيين والمخرجـين و المنتجين يصـرون على إنتاج تلفاز نظيـف ونزيه. فحتى متى يستطيعون الصمود في وجه أبواق وأدعياء المشاهد المثيرة الواجب الحصول عليهـا بأي ثمن، وأمام الغش والخداع المسيطرين على زملائهم في العمل؟ أخيراً أصبحت «العلبة» تشبـه سلة مليئة بالسرطانات (حيوانات بحرية). أخبرنا بهذا صديـق يعمل في مجال الإنتاج التلفازي إننا إذا أدركنا حقيقة مـا يحصل من ثـورات متتابعة في بلاط المحطـات التلفازية المختلفة، لقلنا لأنفسنا إن من الأفضل لنا أن نعمل في مجال البناء أو البنوك... أو التعليم، قد يـردون علينا أن النقد سهل وعبثي، وأن «الفـن» التلفازي يبقى معقداً، ونحـن نقر تماماً بـأن مشاحنـات الواقع التجـاري الهابط لابـد أن تجعل

العاملـين في التلفاز يتحرقون لإنتاجهـا. ويبدو لنا أن من الأمانة أن نعرض عليهم بعض القضايا العملية، وبعض الإرشادات المنتقاة هنا وهناك خلال مطالعاتنا ومحادثاتنا وتأملاتنا. ونأسف إن سخر منا العاملون في التلفاز، ولكننـا نكون قـد حاولنا أن نقنعهم بأن عليهم واجبـاً إعلامياً نبيلاً عليهم ممارسته مع المشاهدين عامةً والأطفال خاصة.

الأطفال هم الضحية

لا يشتكي الأطفال، رغم نمطية البرامج فأكثر من نصف الذين بلغوا 18 عاماً يؤكدون أنهم يحبون مشاهدة المزيد من الرسوم المتحركة!

باستخـدام التعابـير التقنيـة يدعى مسلسـل للرسـوم المتحركة «مُنتـجَ»، وينطبق عليه عادة نوعان من المعايـير: أولهما سعر منافس في السـوق العالميـة، فإنتاج ساعة واحدة مـن الرسوم المتحركة يكلف بـين 3 و4 ملايين فرنك فرنسي، ولكن بمجـرد ظهوره على المحطات اليابانية والأمريكية، تباع الساعة بسعر يتراوح بين 40000 و 20000 فرنكاً، وطالما أن الأمر كذلك فما الفائدة من أن ننتج رسوماً متحركة بأنفسنا، ولماذا نهتـم بالإبداع الأصيل؟ إضافة إلى أن «المنتج الجيد» يجـب أن يكـون موجهـاً لشريحـة عمريـة متوسطـة: وكلمـا توجهنا إلى شريحـة عمريـة أضيق قـل عـدد المشاهدين، وهذا مـن مبادئ الرياضيات، ولذلك فإن الأطفـال الأصغر سناً والمراهقين هم الذين لا يحصلون على حقهم في هذا الخضم الإعلامي.

ولهـذا فإن ما ندعوه «التلفاز العائلـي» (خليط غير متجانس من الألعاب والمسلسلات الموجهة لعموم المشاهدين) يهددنا.

فالتصوير والممثلون والموسيقيون لا تكلف أقل عندما يكون المنتج موجهاً للأطفال، فساعة من الخيال العلمي على التلفاز تكلف 2-3 ملايين فرنك، بينما يكلف فلم وثائقي أو نشرة الأخبار 400000 ـ 150000 فرنكٍ، ومن ثم فإن البرامج ذات القيمة هي مخصصة للفترة المسائية وللبالغين.

ما المتوقع من العاملين في حقل التلفاز؟

- عرض برامج جيدة من حيث الشكل والمضمون.
- أن يتذكروا دائماً أن التربية والثقافة تبقى من المهام الرئيسة للتلفاز، وأنها ليست ملجأً يلجأ إليه لملء أوقات مشاهدة ضعيفة وغير معروفة.
- الابتعاد عن كل دعاية تجارية في الأوقات المجاورة للبرامج المخصصة للأطفال.
- القبول والرغبة في الحوار والنقاش والتعاون مع المُربين: والدين ومدرسين.
- الامتناع عن استخدام الأطفال لأغراض دعائية.
- إعلام الأطفال بالبرامج المخصصة لهم (كل يوم على محطات التلفاز، ومرة بالأسبوع من خلال مجلات البرامج التلفازية الأسبوعية المخصصة لذلك).
- مشاركة الأطفال في إخراج وتقييم البرامج.

obeikandl.com

• احـترام حُريـة الأطفال الجسدية والنفسيـة بالابتعاد خاصةً عن نشر البرامج العنيفة صوتاً وصورة.

أنا أقلب إذاً أنا أتابع!

(سؤال: هل كلمة Suis الفرنسية تعني الضمير أنا، أم الفعل أتابع؟)

هـذه الثـورة التقنيـة الخالصة والتـي تتمثـل بالتحكم عـن بعد لها انعكاسات حساسة على طريقة قيامنا باغتسالنا (التلفازي) اليومي؟

إن العاملين في حقل الإعلان التجاري يطرحون على أنفسهم هذا السؤال المُلح، والذي يكتسب لديهم طابعاً إستراتيجياً مصيرياً.

لا توجـد معطيات متوفـرة في سويسرا، ولكـن في فرنسا أظهرت دراسة أجرتها الهيئة المختصة بتأثير الإعلام أن 43% من المشاهدين يعتبرون «ثابتـين» في الفترة المسائية بين الثامنة و25 دقيقة والثامنة و55 دقيقـة، وهي نصف ساعة مشبعـة بالدعايات التجارية، وخلال هـذه الفترة فإنهم إما لا يقلبـون المحطات أبداً أو مرة واحدة فقط. أما الذين يقلبـون المحطات بين 2 و5 مرات فإنهم يشكلون الشريحة الثانية مـن حيث الأهميـة: 45% من «المشاهديـن». وتبقى شريحة صغـيرة تعادل 12% مـن «المقلبين بكثرة» الذيـن يستخدمون جهاز التحكـم عن بعـد 6-14 مرة خـلال الثلاثين دقيقة المذكـورة نفسها (أرقام مأخـوذة من «التلفاز» كتاب كتبتـه بياتريس بروكار ونشرته دار النشر ليوكومان Lieu commun). ليس هناك ما يدعو للخوف، إذاً إليكم المزيد.

بلند، بول.

- في كل البرامج يجب العناية بالتأثيرات الصوتية والتعليقات، ويجب تجنب الكلمات النابية.
- الاهتمام بتطوير النقد الموجه للبرامج المخصصة للأطفال.

نقاط مستقاة من المراجع الأساس الآتية: «الطفولة الصغيرة» برو جوفينتون؛ «النضج التلفازي» كيت مودي، تأثير التلفاز»؛...

الدولة رمز السلطة والتشريع

إن كثرة الكلام حول أخطار التلفاز، وخاصة على الطفولة والشبيبة، يؤدي بالضرورة للتشوق لإصدار قوانين تضبط الأمر.

ونحن لا نريد لكتابنا المتواضع أن يدعم الغاضبين الذين يرون في «المنع» رديفاً «للحماية».

نحن لا نهمل بالتأكيد الملاحظات السلبية الموجودة في العديد من صفحات عملنا حول الآثار الهدامة لبعض استخدامات التلفاز؛ولكن بين هذا الموقف ومطالبة السلطات التشريعية بقوانين جديدة وتأسيس هيئات جديدة للرقابة هناك خطوة لا نريد أن نخطوها بأي حال من الأحوال.

يبدو لنا أن القوانين التي تفرض ـ كخدمة عامة ـ على محطات التلفاز في معظم البلدان أن تعرض «برامج تربوية ثقافية» كافية، ولكن لا يتم تطبيقها، فالقانون الفرنسي ـ على سبيل المثال ـ يخول هيئات تنظيمية متعاقبة مسؤولية «السهر» على حماية الطفولة والمراهقة عند برمجة العرض التلفازي «فقرة 15 من القانون الصادر في عام 1986م والذي يتعلق بحرية الإعلام).

obeikandl.com

ويجب على محطات التلفاز أن تخبر المشاهدين عندما تكون هناك نية لعرض برنامج يمكن له أن يصدم عواطفهم، وخاصة أحاسيس الأطفال والمراهقين». كلنا يعرف المربعات البيضاء المشهورة والتي تشير لوجود العنف أو المشاهد الجنسية الفاضحة، والتي تختلف حسب البلدان والمحطات التلفازية بين المثلث الأحمر والمستطيل الأزرق.

وقد ذهبت المحطات التلفازية الأمريكية الكبرى، لمنع تدخل مجلس النواب الذي بدا لها شديد الإزعاج، إلى تبني نظام «الدليل المسبق للوالدين» في تموز 1993م (الطبعة الأمريكية من المربع الأبيض)، وتعهدوا فوق ذلك بعدم عرض برامج تحوي عنفاً لا مبرر له قدر المستطاع.

ولكن هذه التعهدات الجيدة لم تجد تطبيقاً في دنيا الواقع، وقررت هذه المحطات تحت ضغط الجمهور ومجلس النواب، وللحد من مشاهد العنف على التلفاز، وبحسب وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ 23 كانون ثاني 1994م، أن «تعيد تنظيم بثها بحيث تعلن عن محتوى البرامج التي تبثها» وذلك بدرجات متفاوتة، أما المحطات التي تبث بنظام الكابلات فقد نظم المبرمجون فيها خطة مكونة من 11 نقطة تسمح بتصنيف البث حسب درجة العنف الموجود فيه، واستخدام نظام يعتمد على رقاقة ـ ف (V-chip)، وهو نظام تقني يسمح للوالدين بمنع ظهور برامج يعتبرونها عنيفة جداً، ولكن المحطات الأربع الكبرى رفضت الخضوع لهذه الإجراءات (ABS,NBC,CBS et FOX) خوفاً من هرب المعلنين، ومن ثم انخفاض الريع الآتي من الإعلان التجاري، ولكن «الشبكات» الأربع قبلت بأن تتزود بنظام مشترك يؤمن مراقبة العنف في البرامج، وهذا اتفاق لا بد من موافقة إدارات المحطات عليه قبل تنفيذه.

بإمكاننا أن نجد في السطور ــ أو فيما بينها ـ العديد من الكلمات مثل: المعلنين والرسوم الدعائية، والاتفاق بين المحطات المتنافسة، وحرية التصرف، وموافقة إدارة المحطات، والعديد من الكلمات في هذه العجالة التي توضح الصعوبة التي يجدها واضع القوانين عند ممارسة دوره الأخلاقي، والذي لا يحول عدم المسؤولية التجارية إلى فضيلة.

إن واحداً من أحر أمانينا التي نتوجه بها إلى المسؤولين عن التلفاز، هو الابتعاد عن تحرير البث من أية رقابة، وخاصة بوجود المحطات الخاصة الجشعة، والتي تقوم على البرامج الرخيصة السهلة الغوغائية، وتنضم إلى جملة المتقاسمين لكعكة الإعلان التجاري، إضافة لمحطات التلفاز الموجودة سابقاً والمجلات.

إن هذا الأمر لن يؤدي بالضرورة لتقليد سياسيينا درجة الشرف، ولن يرضيهم ففي الواقع، إذا كان معظم شبابنا مدمنين على التلفاز، ويتركون جانباً فعاليات «تربوية» مثل الرياضة، والأعمال المنزلية، والإبداع، والألعاب، بل ومجرد التعايش في أجواء الصحبة والصداقة، وذلك لأنه لا توجد أي بنية مناسبة لاستقبالهم بعد أن تغلق المدارس أبوابها؛ ولأن معظم النواب وممثلي الشعب من مختلف الاتجاهات الذين يهاجمون الدور المثير للشفقة للتلفاز على الشباب، ويقترحون قوانين صارمة ورقابة مشددة، قد يكون من الأفضل لهم أن يناضلوا لإنشاء خدمات ثقافية اجتماعية، ونشاطات موازية للفعاليات المدرسية، ومنشآت إعدادية مهنية أو ثقافية لاستقبال اليافعين، ويقدموا للأطفال بديلاً مقبولاً عن التلفاز الذي غدا كالجنية الملعونة، وإذا كنا قد فرضنا ـ كما شرحنا سابقاً ـ على الأمهات العمل مقابل أجرة، لأسباب اقتصادية وطنية واضحة، ولكن لا يُنصح بها

بالضرورة، فإن قليلاً من السياسيين انبروا فعلياً لتحضير المجتمع لمواجهة مشكلة عمل الوالدين الكامل.

السياسات هي تُرهات

إن نجاح سيلفيو بيرلوسكوني لم يأتِ بمعجزة من السماء، وأنتم لا تجهلون حقيقة أن رجال السياسة يبذلون كل جهدهم للظهور على التلفاز.

وهذا دليل حي لغياب سلطتهم، فهم غير قادرين على إيصال أفكارهم، رغم أنهم يحتلون ساحة السياسة، ويسببون ظهور اللامبالاة في المجتمع، إن السياسيين يحتلون في أيامنا هذه خشبة مسرح تساعدهم على ممارسة السياسة الخيالية، ولكن هل بإمكاننا أن نقول بأن هناك سلطة إعلامية؟ لا، لا شيء يشير إلى أن بيرلوسكوني بإمكانه ترجمة سلطته الإعلامية بأمور سياسية. إن بيرلوسكوني هو نتيجة الإفلاس العام للسياسة، وضياع القيم والخداع الذي تمارسه نخبة المجتمع، ويعتقد العديد من الإيطاليين الذين نتناقش معهم، أن الفاشيين الجدد هم الذين كانوا الأكثر نجاحاً على التلفاز، ولكنني أقر بأن هذا الأمر ليس بالضرورة مؤكداً لنظريتهم، ولكنه يدعو إلى التفكير.

لا يبدو أن ديمقراطية التلفاز تثير في أنفسكم الخوف ...

نعتقد دائماً أن السياسة تتحكم بالجماهير من خلال التلفاز. ولكن هذه الفكرة غير صحيحة بالكلية، فالجموع من اللامبالين هي التي تفرض على السلطة السياسة تحييداً تسمح به وسائل الإعلام.

وهذا الاستهتار الشعبي، ألا يزعجكم؟

وأجيب فأقول: لا، فما يحصل في إيطاليا على سبيل المثال ينبئنا بما وراء هذه السياسة التي أشرت إليها، فأنا لا أستطيع أن أفهم حزننا على فئة سياسية تنهار كلياً، وأن نعتقد بآن واحد أن هذا الانهيار بديل أفضل لبيرلوسكوني، رغم أنني لا أكن لهذا الشخص أي وُد.

أنتم لا تعتقدون بوجود ديمقراطية التلفاز؟

لا، أنا لا أعتقد بوجود تعاون عضوي بين الديمقراطية والتلفاز، إلا إذا اعتبرنا الديمقراطية خطاباً أجوفاً حول حقوق الإنسان، والقيم الجمهورية... إلخ.

يوجد فخ قد نبهتكم إليه يكمن في الدفاع عن طبقة سياسية رأينا بأم أعيننا قيمتها الحقيقية.

ما الذي دفعكم للتفاعل ضد المشاهد التي نقلها التلفاز عن ساراييفو؟

الغضب: لقد استشاط غضبي ضد الطريقة التي استُغِلَت بها الصور دون تأنيب ضمير، كما لو كنا مُديري مسرح، فاليوم تُبيض المشاهد كل شيء وتغسل الحقيقية. ويبقى الحل هو الكتابة عن المشاهد.

أقوال حصل عليها فيليب بوتي، في حدث الخميس، 14-20 نيسان 1994م. مقابلة مع جان بودريار.

obeikandl.com

يذكرنا كُتاب مقالة نشرت قبل عدة سنوات في مجلة سبيجِل الألمانية، وينقلها فرانسوا ماريه بالحقائق الآتية: «من أصل 9.5 مليون طفلٍ يرتادون المدرسة في ألمانيا، 1.3 مليون ينتمون لعائلات أربابها عاطلين عن العمل لمدة طويلة؟ و300 ألف طفلٍ يخالفون القوانين المتعلقة بارتياد المدرسة، ويعملون جزءاً من اليوم ليجلبوا بعض المال لعائلاتهم، فليس التلفاز هو الذي يتعبهم ويقلقهم ويغذي خوفهم، وإنما العيش ضمن عائلة ينقصها المال والكرامة والأمل، فالتلفاز ليس سوى قليل من الراحة وتغيير الجو وفسحة الأمل، إنه أفيون هذه الجماهير من الأطفال والمراهقين، إذا استخدمنا تعبير ماركس الذي قال: بأن الدين يخدر آلام المجتمع، فالتلفاز هنا يلعب دور المواسي في العلاج التلفازي لظاهرة البطالة».

أخلاق سياسية

المظهر سحق الكلمة

«....» إنني لا أسمع ما تقول لأنك تتكلم بصوت مرتفع جداً». العبارة صحيحة إلى حد كبير، فالحركة وتسريحة الشعر واللباس والعين وربطة العنق، وباختصار المظهر يسحق الكلمة والدليل والفكرة، فالموهبة يمكن لها أن تسوق الكذب، والمظاهر تستبدل الذكاء، وتحل الصورة محل المحتوى، فتخيلوا أولاً مشهداً غير تقليدي! ـ مواجهة بين شارل ديغول وبرنار تابي...

تصوروا من ناحية الحركات الكبيرة للأيدي، والنظرة الثاقبة، والكلمات العريقة، والوقفات الطويلة، والرصانة الكبيرة، ومن ناحية أخرى النظرة المتلاعبة، والعبارات السوقية، واللهجة الصاخبة...

مـن يُستمع إليه أكـثر، ويفهم الناس أكثر اليـوم؟ نعم، لقد تغير الزمـن، إن الشـرخ الحاصـل يفسـره التلفـاز: لم تكـن الأسطـورة الديغوليـة بحاجة للتلفاز لأن توجد، ولكن السيد تابي لا يساوي شيئاً دون التلفاز.

لقد أصبح التلفاز محطة اختبار السياسيين، سواء كانوا يمينيين أو يساريـين، محافظين أو تقدميين، مجددين أو رجعيين، فهو يختار الذيـن ينجحـون علـى الشاشة أو لا ينجحـون، إن هـذه التصفية لا تمارسها السلطة التي تسيطر على الأداة، من الآن وصاعداً سيسيطر التلفـاز التجاري، ويكون حكمـاً في حيز الإعلام، فالفـرق السياسي الأساس الآن هو: هل أنت ناجح على التلفاز أم لا؟

ألبيردو روا في مجلة «حدث الخميس» 14-20 نيسان 1994م.

إننـا ننتظر مـن الذين انتخبناهـم «حلـولاً» أخرى لبطالـة الوالدين ولضياع الشباب!

ولذلك فأنا أقول لكم: سيداتي و سادتي السياسيين توقفوا عن التبجح بإرادتكـم الخير للشباب دون بذل الجهد في ذلك، لأن اقتراح منع الأشياء لا يكلـف شيئا، ولكـن التصويت على تخصيص ميزانيـة لتأسيس مدرسة للموسيقى، أو صالة رياضية، أو منشآت لنشاطات رديفة للمدرسة، يتطلب الشجاعـة إضافة للمـال، و مفاوضـات شاقة، وتحضير ملفـات قوية، ولا يعطي شهرة شخصية إلا على مستوى الصحافة المحلية.

ولكـن كل سياسي منتخب ـ ولو كان ضعيفاً ـ يحلم ولو ضمناً بمستقبل محلـي أو في ناحيته، أو وطنـي وربما دولي مع ولادة أوروبـا الجديدة التي

مـا تزال تكبر، وهذا الأمر يخلـق علاقات مشبوهة مع وسيلة الإعلام هذه المحبوبـة من قبـل الجمهور، والتي نزدريها من ناحيـة دون قناعة قوية في خطاباتنـا في المجالـس المغلقـة وفي مجلس النـواب، والتـي نداعبها بمكر مُداريـن توجه المحطـة عندما تُجرى معنـا مقابلة تلفازيـة، أو نشارك في حلقة بحث مباشرة من ناحية أخرى، وهكذا نجد أنفسنا غارقين ـ بحسب رأي فرانسوا مارييه الذي نشاركه الرأي تماماً ولو لمرة واحدة ـ «في خطاب طنان يغلب عليه عدم الكفاءة والصخب المضحكين في أمور لا ينبني عليها صرف نفقات.

وذلـك لأن تخصيـص مخصصات ماليـة يستدعـي أن يستأثر رئيس الحكومـة أو الوزيـر المختص باهتمـام الإعـلام، وأن يحصـد المنفعـة السياسيـة، ولا يبقـى للنواب المنتخبين من قبـل الشعب سوى مجد إصدار قوانين الحظر والمنع».

ولذلـك فإننـا لا نوجـه بعض الأفـكار التي قـد تقود إلى حـل في هذه الفقـرة لكل السياسيين المتحمسين للمنـع، والذين لا يرون في مُداخلاتهم «التعقيميـة» في مجلس النواب، سوى فرصـة لتحسين صورهم الشخصية في أعين الناس.

إن ثرثرتهم العقيمة ولسانهم الخشبـي ليست إلا الأعراض المشخصة لظاهرة «توحد» مُلطف ومدروس.

إضافـة للاعتبارات الاجتماعية عموماً والسياسية والتربوية التي يجب البـدء بهـا، إننا ننصح المُنتخَبـين المخلصين الذي يشعـرون أنهم معنيون بأمـور الشباب أن يقـرؤوا التقرير الرائع و التقني بـآن واحد، الذي أعده

وزيـر الدولة ووزيـر التربيـة والشباب والرياضـة جاك بومونتـي في عام 1989م تحت عنـوان «التربية والتلفاز. رهان القـرن الحادي والعشرين». إنهم سيجدون فيه شهادات ونصائح وتعليمات تتراوح بين إمكانية الإفادة مـن الثروة التلفازية الموجودة، وتحصيـل موارد مالية تسمح بإنتاج برامج ذات أهـداف تعليميـة، مـروراً بضرورة تحقيـق لامركزية فعاليـة الإنتاج والإبداع، وترشيد البنيات الإدارية، وتجهيز مدرسين مختصين بالتلفاز... دون أن ننسـى ـ على المستوى الأوروبي ـ إيجاد سوق تعم القارة، والمغامرة المتعلقة بالأقمار الاصطناعية، نتمنى لكم قراءة مفيدة!

عندما يحلم المراهقون بتلفاز مثالي

إن المراهقـين لا تمثلهـم مسلسـلات مثل «هيلـين والصبية»، ولا العبـارات المكـررة في نشرات الأخبار، دراسـة فرنسية تفسح المجال للمراهقين ليعبروا عن أنفسهم.

تكتـب ناتالي ـ وهي فتاة من مدينة لـوزان ـ: «هيلين والصبية» لا علاقـة له مطلقاً بما نحن عليـه، ولا توجد فتاة أو فتاتان مثل هيلين، ولكن إن لم تكوني جميلة، وإن لم يكن لديك من المال ما يكفي لشراء نفس الملابس، فإن هذا يُشعرك بالحرمان».

المراهقون ضجرون: فالتلفاز يعطي عنهم صورة لا يوافقون عليها. التقينـا هـذا الصيف بناتالي وروميو وبعض الشباب السويسريين الناطقين بالفرنسية، وأعطونا نفس الإجابات التي حصلت عليها من مئتي مراهق ومراهقة فرنسيين. الجمعيات الفرنسية لحقوق الطفل منـذ فترة قريبة عندمـا توجهت إليهم بأسئلـة مشابهة حول التلفاز

لقـد أجاب هؤلاء: «لا أحد يتكلم عنـا إلا عندما يكون هناك إضراب أو مظاهـرات في الطريـق، ينعتونـا بأننا عنيفون وأنانيـون وسلبيون وخالقـو مشكلات، حثالـة المجتمع، ومسؤولون عـن تخريب الأماكن العامة. لا يوجد تمثيل حقيقي: وهذا يعني لا يوجد مراهقون يتكلمون عن دراستهم وعن آمالهم في الحياة».

بـين عمر 11-19 سنة يحتج المراهقـون على عدم وجود الحالات الوسطيـة. «لا أحد يتكلم عنا إلا عندما نكون غاضبين»، هذا ما قاله الشبـاب الفرنسيـون الذين استطلعت آراءهـم الجمعيات الفرنسية لحماية الطفل.

(كوفراد) «لا يُعرض إلا الوجه السيئ لنا» يجيب ستيف ذو الستة عشر ربيعاً من منطقة الفود (...).

يمكننـا اعتبارهـم «بطالـين، ومهووسـين بالموسيقـى»: الشباب مهتمـون بمعرفـة الحقيقـة، إنهم فقـدوا ثقتهم بالصـورة، ويخيب أملهـم التعامل العـام مع المعلومـة، فروميو الذي لم يبلـغ بعد عامه السادس عشـر يتمنى وجود مزيد من «الأخـلاق وأصول الممارسة». يعـبر الشباب الفرنسيون في إجاباتهم عن عدم ثقتهم: «أحياناً يقوم الصحفيون بتشويه المعلومات ليجعلوها أكثر جاذبية للقراء».

يعتـبر البعض أنـه يجب تدريس الإعـلام في المدرسة، «بدل تعلم ملوك فرنسا وتاريخ سويسـرا، أليس بإمكاننا إعطاء دروس حول ما يحصل في العالم، وكيف نتعامل مع المعلومة؟»، سؤال يطرحه الشاب إيمـا نويل ذو الثمانية عشر ربيعـاً. «لقد كنت محظوظاً لكوني طالباً في مدرسـة نستمع فيها لنشـرة أخبار الثامنة صباحـاً على المذياع.

وكل يوم كنا نتناقش في مجريات الأمور، لقد سمح لنا هذا بالتعبير عن رأينا عن طريق المبادرة بالكلام». في باريس شُكلت جمعية لعدة ثانويات هدفها «الحصول على نظرة أعمق للمعلومة». «إننا ننظم اجتماعات نتناقش فيها حول المشكلات الحقيقة: مثلاً يوغوسلافيا قبل الحرب، وحول منظمة الأمم المتحدة وما تمثله حقيقة... كل هذه المعلومات تنقصنا» (...)

الكاتب لورانس ناغي في النوڤو كوتيديان 25 تموز 1994م.

إحصاء أرسل إلى 200 شابٍ وشابة فرنسيين. COFRADE

«الشباب يتساءلون عن المعلومة» وثيقة رقم INJEP 13

الشباب أنفسهم

رغم أن الأرقام الناطقة بوضوح يمكن لها أن تجعل بعض القراء متشائمين، ولكننا استنتجنا من استطلاعات رأي مختلفة أجريت حديثاً معلومات متنوعة لافتة للنظر حول مشاهدة الأطفال للتلفاز لكل من يود الغطس في هذه المعلومات شرف القيام به! ولنبدأ بالولايات المتحدة التي تسبح منذ فترة طويلة في خضم الموجات الهرتزي، وحيث أكد الباحثان ديتز وستاربورغير، بعد دراسة أجريت على 4000 عائلة في 17 منطقة عمرانية، تبين أن الأطفال الأمريكيين يقضون حسب عمرهم 20-30 ساعة بالأسبوع أمام التلفاز، وأن طفلاً عمره سنتان يشاهد التلفاز بمعدل 60 يوماً في السنة، وبهذا يعطي للجنية « تلفاز» ثلاث سنوات من حياته في نهاية مدة الدراسة المدرسية.

دون الأخـذ بعـين الاعتبـار للاختلافـات الشخصيـة أو الاختلافـات العائدة إلى التقويم المدرسي يصل الاستهلاك اليومي المتوسط للتلفاز إلى 3 ساعات ونصف في الولايات المتحدة، وتقريباً ساعتين لجارتها كندا.

الوضع في كندا يقترب كثيراً من الوضع في أوربا حيث يمكننا الاستنتاج بعـد البحـث، ورغـم الاختـلاف بين البلـدان أن أطفـال القـارة القديمة يخصصون أكثر قليلاً من ساعتين في اليوم لمشاهدة التلفاز.

ليست لدينا رغبة في إتعاب القارئ بالإحصائيات! ونحن نقدمها فقط لنؤكد على حجم الظاهرة التي يلخصها كل من ديتز وستراسبورغر بعبارة قويـة: «يخصص الأطفال وقتاً للتلفـاز يتجاوز كل الأوقات المخصصة لأي نشاط آخر باستثناء النوم!».

ونعنـي بالنشـاط هنا مفهومـه المتداول العـام، رغم أنـه حقيقة ليس بنشـاط، ونحن قـد فصلنا هذا في فصـل سابق، فالسحـر الذي يمارسه التلفاز على الأطفال ناجم عن عمل ضعيف وعفوي للخلايا العصبية وليس سببه فعالية حقيقة لهذه العصبونات.

أندرسـون ومساعدوه وجدوا في عـام 1986م أَنّ لا أحد يشاهد التلفاز خلال 15% من وقت تشغيله.

إن الأبحـاث التـي قام بها موريـه قبل أكثر من 20 عامـاً على عائلات فقيرة في مدينـة واشنطن أبدت أن الأطفال من 1-10 سنوات يخصصون 18% مـن الوقت الـذي يقضونه أمـام الشاشة للقيـام بنشاطات أخرى، والذيـن تـتراوح أعمارهم بـين 11-19 سـنة 31.2% من هـذا الوقت، أما

البالغـون فتبلغ هذه النسبة لديهم 36.5%، ويلاحظ الكاتب أن: «الأطفال يشاهـدون التلفـاز بشرود وعدم تركيـز غالباً، بينما هم يقومـون بأشياء أخـرى: اللعب، تجميع قطع لوحة فسـيفسـائيـة، وأحياناً في أثناء القراءة وكتابـة الوظائف». وهكذا فنحن نشارك ماريه الرأي في تصنيفه الجديد لمشاهدة التلفاز، وأنواعها الثلاثة المذكورة سابقاً: التلفاز المحبوب، والتلفاز الدائم والتلفاز لسد الثغرات.

نصائح للأطفال الذين يرغبون في التخلص من كونهم «مقلبين على التلفاز»

هذا الكتاب ليس موجهاً لقراء أطفال صغار السن، وإن كانوا هم مركز الاهتمام، فمن الصعب أن نوجه لهم نصائح دقيقة تجعلهم يتخلصون من عبودية علبـة الصور، مع ذلك فإن بعض الأفـكار تتبلور لتعين المشاهدين الصغار دون أن تكون لدينا رغبة بأن يفقدوا جزءاً من حريتهم.

- لا تقبلوا إلا التلفاز المحبوب والبرامج التي تختارونها، ولا تقوموا بعمل الكثير من الأشياء والمهمات والتلفاز يعمل.
- لا تشعلـوا التلفـاز إلا إذا كان فيه ما يدعو فعلاً للمشاهدة، وهذا يعني الاطلاع السابق على برنامج البث.
- هـذا البرنامج الذي يطلـب الأطفال من أهلهم بصدده شيئاً من التعليـق والمفاوضـات والتبريـر، حتـى وإن كان الأهـل يدعـون أن عندهم أشياء أخرى يفعلونها.

obeikandl.com

- بمجـرد اختيـار برنامـج محدد، يجب وضع جهـاز التحكم بعيداً في الطـرف الآخـر مـن الغرفة (ربمـا في الحمـام، أو في قعر سلة الغسيل الوسخ!).
- اطلبوا من والدكم أو والدتكم كلما كان ذلك ممكناً أن يشاهدوا التلفاز معكـم، ولا تتردوا بطرح أسئلة عليهم قبل الموضوع المشاهد وفي أثنائه وبعده.
- طالبـوا بمشاهـدة نشـرة الأخبـار مـع والديكم من وقـت لآخر، واسألوا كل سؤال مفيد يساعد على فهم الأشياء والأحداث.
- أقنعـوا الأصدقـاء بـأن يتكلموا عمـا شاهدوه على التلفـاز، وأن يتحاورا حول موضوعاته أثناء الفرصة بين الحصص المدرسية.
- ولِمَ لا يكون هذا الحوار في الصف؟ وإن كان المدرسون معارضين مبدئيـين للتلفـاز، فإنهم سـوف يوافقون على ذلـك في النهاية إذا طرحتم عليهـم تساؤلات جدية ومحضرة جيداً، وربما متفق عليها بين الأصدقاء.
- ارفضـوا فكـرة التلفـاز الثـاني في غرفة نوم الطفـل، وذلك لأن الدمية التي تساعد على النوم ترفض المنافسة.
- اضغطوا على الصديق أو الصديقة للعب خارج المنزل، فلا يوجد أكـثر «تفاعلاً» من مشهد الهنود الحمـر ورعاة البقر، عندما يكون الطفل الذي يلعب اللعبة هو نفسه الشريف أو النسر الأسود.

obeikandl.com

للأطفال الصغار والأكبر سناً

تمارين عملية

أسئلة:

1. عندما تطلعون على مجلة أسبوعية تنشر البرامج التلفازية الأسبوعية، قارنوا جداول المحطات المختلفة بتعبئة جدول تدونون عليه الوقت (أو نسبة الوقت) الذي تحتله البرامج الآتية:

- المعلومات.
- الجديد في العالم والتقارير.
- الأفلام الفرنسية.
- الأفلام الأجنبية.
- المسلسلات التلفازية الفرنسية.
- المسلسلات التلفازية الأجنبية.
- البرامج المتعلقة بالأدب والفنون والموسيقى الكلاسيكية.
- المنوعات الموسيقية.
- الرياضة.
- الوثائقيات المختلفة.

هل توجد فروق مهمة؟ هذا الجدول سيساعدكم على معرفة توجه كل محطة من محطات التلفاز، ومن ثم معرفة إلى أي جمهور تُبث البرامج.

2. إذا اشتركتم في محطة من المحطات، فشكلوا جدولكم للبرامج(نسبة الوقت) حسب مايلي:

- بالبحث عن أكثر أوقات المشاهدة، والتي تحاول خلالها محطات التلفاز إرضاء أكبر عدد ممكن من الجمهور.

obeikandl.com

- بالاهتمام فقط بما تحبونه... وقارنوا هذا الجدول بالجداول المثالية لزملائكم مستقاة من كتاب الأدب (ليتراتور) الجزء الثاني «التقنيات»
كريستيان بييه ومساعدوه. نشر دار مانيار 1987م.

- القدرة على التفاهم مع الإخوة والأخوات فيما يتعلق باختيار برنامج مشترك يناسب الجميع، وأن نتقبل دون انزعاج أو تذمر أو صفق للأبواب أن «تغادروا المكان» عندما يعتبر أحد الوالدين: أنك شاهدت التلفاز بما يكفي هذا المساء، وأنه بوجود هذا الطقس الجميل يفضل أن تلعب خارج المنزل، أو أن لديه رغبة بقراءة صحيفته أو بريده بهدوء في غرفة الجلوس.

- سؤال الوالدين إن كانا موافقين على تسجيلك في نادٍ رياضي أو دروس موسيقى أو فرقة كشافة، فهذه الأماكن تمكننا من الحصول على أصدقاء أكثر من جلوسنا في غرفة الجلوس.

بمحاولة تطبيق هذه النصائح ـ وباختراع طرق أخرى ـ سوف ترون أن التلفاز لم يكن حتى الآن صديقاً وفياً، وأنه كان يفرض نفسه وأموراً أخرى أكثر من عرضه إياها، وأنه كان يستعبد أكثر مما يرفه، وخاصة أن قيمته الحقيقة تتبع من الحوار والنقاش الذي يمكن أن ينتج عن مشاهدته.

المدرسة و«الموجهون» المهنيون

إذا كان معظم المدرسين وخاصة في المدارس الثانوية يعتقدون أن المدرسة يجب أن تقوم بعملها: تعلم القراءة والكتابة والعد والحساب؛

فبعضهم يعتقد أن التلفاز يمكن له، بل ويجب عليه أن يدخل قاعة الصف. حاولنا سابقاً أن نُحيط بالطرق المختلفة لاستخدام التلفاز في التعليم (التلفاز المدرسي، التعليم عبر وسائل الإعلام، والاستخدام «الثقافي» «للتلفاز كأداة»...)، وأن نضع النقاط على الحروف فيما يخص الانقسام والتعارض في الشكل والمحتوى، اللذين يجعلان من الصعب بل من المستحيل في نظر العديدين بناء علاقات منسجمة بين هذين العالمين المختلفين تماماً.

إما المدرسة أو التلفاز أو حوار رديء

بإمكاننا إن أردنا أن نظهر كأناس متفتحي الفكر أن نترنم بوصلة غنائية مفادها أن التلفاز موجود، وهذا الموال الشائع جداً هو فارغ من أي معنى.

فعلينا أن نتَّبع سلسلة لازمة كريمة ومجانية من توجيهات إلياكا* YAKA. في المدرسة لا يستخدم ياكا غير التلفاز الحقيقي الراقي، ذلك الذي يُعلم ويثقف، ويعلم ياكا. الطفل أن يرتب ويُصنف وينظم، وباختصار يجعل ياكا من الطفل قادراً على التحكم بسيل المعلومات المتدفق لتجعل منه رجل المستقبل الحقيقي الراقي في القرن الحادي والعشرين، وهكذا ياكا! ودور المعلمين يكبر أكثر من أي وقت مضى، ويصبح أجمل وأرفع وأسمى.

وماذا لو كانت المدرسة عاجزة بكل بساطة عن القيام بهذا؟ وإذا قامت المدرسة بإصلاح أمورها أولاً؟ هذه المدرسة التي أصبحت عاجزة

* YAKA (ياكا) هو نظام متكامل يهدف إلى التزويد بطريقة فعالة لنشر أنظمة التشغيل على عدد كبير من الحواسيب غير المتجانسة.

openkandil.com

عـن مواكبة تحديات العصر الكبيرة، وبحجة الفعالية والمردودية أصبحت مصطنعـة وغـير طبيعية، وتفصل بين المـواد التعليميـة والمواهب، فتجبر الشاعـر بالقـوة على فتـح كتاب الفيزيـاء لأن جرس انتهـاء الحصة رن، وتجـبر الصغـير المولـع بالرياضيـات أن يـترك معادلتـه ذات المجهولين ليخصص نفسه للمتع الإجبارية اللطيفة للآلات الرياضية، فإشارة انتهاء الحصة إجبارية.

هـذا التنقل الدائم والإجبـاري بين المواد المدرسيـة، وتعدد المدرسين، والكبـت النـاتج عـن النتائـج المدرسيـة، إضافـة إلى التشويش والعنف المدرسـي، وغياب التبادل الحقيقي في الأفـكار، كلها تجعل الطالب إنساناً خاضعاً للسخرة بدون رحمة.

إن جعـل الطالب معتمداً علـى الآخرين وفاقداً للمبـادرة، وأن نفرض عليـه أن يترك جسـده معلقاً على علاقـة الثياب في المشالـح قبل الدخول للصف، وأن يتخلى عن أحلامه ورغباته وفضوله على مدخل المدرسة، وأن نسلبـه كذلك وقت متعته بإغراقـه بالواجبات المنزلية، هذه بعض الأعمال البطوليـة اليومية التـي تمارسها هـذه المؤسسة المحترمـة التابعة للدولة، والتي نسميها المدرسة في الدول التي ندعوها متطورة.

بعد ثماني سنوات من هذا النظام المدرسي، يأتي الطلاب إلى دروسهم في الثانويـة كما يذهبون إلى السينما: فيضعـون مُؤخراتهم على مقعد من المقاعـد، وينتظرون بسلبية مـرور الحصة، ويلزم جهـد هائل من الإبداع والصـبر لنصل ببعضهم شيئاً فشيئاً إلى المشاركة في الدرس، والجرأة في التعبير عن رأيهم، والمبادرة ببعض الأمور، وأن يستوعبوا أنهم يبذلون الجهد

لإرضـاء أنفسهم، لا لإرضـاء المدرسين أو الوالدين. أمـا بالنسبة للباقين فإنهم يظلون (سيظلون؟) معتمدين على الآخرين وماديين ومنطوين على أنفسهم وعنيفين... فاشلين مستقبلاً وعلينا تقبلهم كمواطنين؟

«فتح مدرسة يعني إغلاق سجن، فما بالك إذا كان الأمر هو فتح سجن آخـر؟» هـذا تساؤل طرحه المُنَظِّـر فيكتور هيغو، فالمدارس تعلم الأطفال الصمت والطاعة، وهذه جريمة.

و تريـدون من هـذه المدرسة التي تلتهـم الطفولة والشبـاب أن تنافس طواحـين الهواء التلفازيـة؟ حسبكم! ولكن هل أنتم حقيقـة مُصرون على رأيكم؟ فليكن، أنتم على حق!

ففي الواقع، إذا كانت الثورة على المؤسسة التعليمية الحالية مستحيلة، فإن معظم خُدامها ليسوا أوصياء ولا يمارسون الإخصاء. هم غالباً أساتذة قلبـاً وروحاً قبـل أن يكونوا أساتذة بعقولهم (ليسـوا من الموظفين الغلاظ بجباهٍ كجبهة الثور!) إنهم يمنحون الطفولة حناناً واحتراماً عميقاً.

إنهـم هـم الذين يمنحـون المدرسة شرفهـا، ويطرحـون الأسئلة حول هدفهـا وتوجهاتهـا، وهم الذيـن يجعلـون المدرسة محببـة، ويحاولون أن يفتحوها على الحياة، ويروجـون لاحترام الذات قبل احترام الإتقان، كان لابد لنا من أن نجعل هذا واضحاً.

فنحـن نوجه هـذا الفصـل إليهـم خاصـةً، وإليهم كذلـك نوجه هذه «الصرخة المدوية» حول محاسـن ومساوئ المدرسة، والتي تشابه في بعض النواحي محاسن ومساوئ التلفاز.

كتبنا سابقاً أنه يجب إدخال الحياة إلى المدرسة، وأنه أصبح مستعجلاً

خروجها من جوها الخانق العقيم، ولا زلنا متمسكين بهذه الفكرة الكريمة والتفـاؤل الطوباوي، ولكن هل يمثل التلفاز بصوره غير الواقعية والخيالية والمجزئة والزائلة الحياة؟

بالنسبـة للمنادين بنظام تربوي منفتح على الحياة (فرينيه، ديكرولي والآخرين....) كان العالم هو الغابة والنهر والعصافير والمحميات السلتية أو الفرنسية ـ الرومانية القريبة جداً، ولم يكن تلك الأمور المعقدة الشائكة «هيلين والصبية»، والنزاع اليوغوسلافي، ومباريات التأهيل لبطولة أوروبا بكـرة القدم، هذا العالم المصطنع الحديـث وغير الموضوعي والسرطاني! سرطان التلفاز!

إن مشاهد التلفاز ليست أكثر واقعية من وقائع رواية لستيفنسون، وربما كانـت أقل واقعيـة ـ وكم من الكثير يتحدث عن القليـل ـ من الجرمينال* لإميـل زولا، وهـي رواية تنقـل الواقع بأسلـوب يحث على إعمـال الخيال، وتتنـاول الأخلاق الاجتماعية والسياسية ـ مع روح مبالغة تحمل الدعابة ـ لحقبة زمنية محددة، لو عاد إلينا جان جاك روسو الطيب، فإن من المؤكد أنه سيكون بالتأكيد أكثر مرارة وتشاؤماً في هجومه على التعليم التلفازي، ممـا كان عليه في هجومه على الكتب، والاستخـدام التربوي لها في زمنه. إن المدرسـة لن تؤهل الطفل المدمن على التلفـاز «ليصبح حالماً من خلال تجَواله في الطبيعة»... بمفرده أو بوجود الآخرين.

وهكذا ونظراً لكل الأمور السابقة، والاعتبارات الأخرى التي طُرحت في فصل «التلفاز والمدرسة» يمكننا أن نستخلص أن بإمكان المدرسين ـ وذلك

* الجرمينال: الشهر السابع من الثورة الفرنسية.

obeikandl.com

مـن حقهم ـ أن يستمروا بتجاهل الفجوة الغريبة القديمة الساكنة القائمة بين الثانوية وما يليها، وأن نلخص الأمر متفقين مع جاك بيقتو: «إن العلاقة بـين المدرسة والتلفاز كانـت حتى الآن مـن النوع الطوبـاوي....، وتتصف بالواقعيـة البائسة، فيوجد بون شاسع بين مـا يُعلن، وبين ما يطبق، لدرجة أن الإنسان يتساءل كيف يمكن للمربين أن يبقوا واهمين حتى الآن».

ولهذا السبب بالـذات، ولكوننا ما زلنا نحتفظ بشيء من الأمل الواهم فنحـن مصـرون على تقـديم بعض النصائـح، وبعض الحلـول النظرية للمدرسـين الذين يحلمون بمدرسة مفتوحة علـى العالم ذكية وتقبل النقد الذاتـي، فالمدرس الحقيقي لا يضع نفسـه في الديماغوجية السهلة، ولا في الاستسـلام والخضوع العبـودي لبرامج رسمية، إن أكـبر خيانة نقوم بها تجاه الأطفال هي الاحتقار واللامبالاة!

الخلاص من الأوهام

بما أن الموضوع حساس للغاية، وبما أننا نرفض أن نلعب دور الناصحين الأبويين للأشخاص الذين يقتاتون من إعطاء الدروس، فإن ما نقدمه عبارة عن رغبات وبعض الحلول العملية التي نرغب أن نعرضها على براعاتهم.

أولاً يجـب علـى المدرسـين التخلص مـن بعض الأوهام التـي تتعلق بالاستخدام المثالي للتلفاز في الحصة المدرسية.

الوهم الأول: هو القدرة على قياس المعارف المكتسبة من قبل الطفل أمام التلفاز، من خلال استخدام المعايير التقليدية لتقييم الأداء المدرسي.

الوهم الثاني: استخدام التلفاز كوسيلة لدعم الأهداف الخاصة. عاش

التلفاز المدرسي ولم يثبت أي شيء سوى عدم فعاليته، فالدروس على التلفاز تبعث الضجر والملل بنفس الدرجة على الأقل مقارنة بالدروس العادية التي يعطيها المدرسون، وهذا يعني الكثير.

الوهـم الثالث: وليس الأقـل أهمية: المساعدة في فـرز وتنظيم وترتيب المعلومات المتناثرة التي يُشَربها التلفاز للأطفال، فالمدرسة ببنيتها الحالية ليس لديهـا الوقت و الإمكانيات ولا الكفاءة لتلعب دور المُوحِد لهذه الثقافة المبعـثرة، التي لا تملك قاعدة صلبـة تستند إليها، ولا تربطها علاقة بواقع الأطفال الحقيقي.

الدروس الإجبارية

بعـد تأكيد شديـد يقترح دانييل شنيدرمـان أن يُعلم التعليق على مشاهد التلفاز في المدرسة، كما يُعلم التعليق على النصوص الأدبية.

وهـو مُحِق في ذلك، فالتلفاز المتعلق بالحيـاة الثقافية والسياسية والاجتماعيـة هو حقيقة لا مفر منها، ولذلـك يجب أن نعلم الأطفال كيف يشاهدون الشاشة الصغيرة.

فنشرة الأخبـار يجب أن تخضع للتحليل كما نفعل مع نص أدبي، فالصور التي تعرضها هذه النشرة تبني إلى حد كبير طريقة فهمنا للعالم، فلنسرع بالتحكم بهذه الصور خوفاً من أن تسيطر هي علينا. هذا ما ينبهنا إليه الكاتب المشهور.

بانتظـار أن يصبح تَعلُم مشاهدة التلفاز إجبارياً، فإننا سنرضي ضمائرنـا بقراءة مقـالات شنيدرمـان الدورية، ومقـالات الآخرين الـذي يلاحظـون ويصفـون ويعلقـون يوميـاً علـى مـا يشاهدون في

محطـات التلفزيون الرئيسة، وذلك بالنيابة عنا، إن عدد هؤلاء آخذ بالازديـاد، وهذا جيد، فجميعهم على اختلافهم يعملون أحياناً ودون علم على إزالة إبطال صفة القداسة عن التلفاز.

حُماة ضروريون، هم لا يفوتون فرصة لكبت جماح غروره بمجرد ادعائـه أنه يُغنِي عـن الواقع المُعاش بحركة بسيطـة لجهاز تصوير. أمـا أفضل هـؤلاء فيجمعون علـى الرفض المطلـق لأن يكونوا مغفلي عصرهـم، هـذا العصر ـ الـذي كان ومازال عصرنا ـــ لا يفتأ يعبر عـن نفسه بالتمثيل، وحتى في لحظات عجزه من خلال زاوية صغيرة لاستوديو مُضاء.

تيري ميرتونان، اليومية الجديدة (لونوفو كوتيديان) 18 تموز 1994م.

من كتاب دانييل شنيدرمان: توقف على المشاهد «أريه سور إماج» دار النشر فايار.

بعض الحلول فيما يتعلق بالمدرسة

بمـا أننا انتهينا من نقاش طويل حول الموضوع، فلنحاول أن نجد ضمن هـذا الخضم نصائح مختلفة للعاملين في حقل التدريس، والتي نعتقد أنها الأكثر قبولاً.

- احصلوا على معلومات كافية عن علاقة الطفل بالتلفاز.
- عندمـا تقابلـون الأهـل حاولـوا أن تفتحـوا نقاشاً حـول التلفاز، ودعوهم يعبرون عن آرائهم.

obeikandl.com

- بعد قراءة عدة كتب حول الموضوع، انصحوا الأهل بقراءة أحسنها وأكثرها توفراً، لماذا لا يكون الكتاب الذي بين أيديكم؟ (انظروا كذلك إلى لائحة المراجع).

القيام بمساعٍ لدى الجهات المعنية في المدارس، لتزويد الصفوف بأجهزة تسمح بمشاهدة التلفاز: شاشات عرض وأجهزة فيديو.

- اختبار طرائق أخرى أكثر وعياً للاستهلاك التلفازي، وذلك اعتباراً من الصفوف المدرسية الأولى وربما صفوف الحضانة، إن استخدام الفيديو يسمح بتجزيء برنامج إلى فقرات مدتها 5-10 دقائق يمكن مناقشتها والعمل عليها خلال الدروس، وهذه الأجهزة تعين كذلك على العودة إلى الوراء لتكرار مشاهدة لقطة معينة، أو التوقف على مشهد محدد لمدة من الزمن.

- تعليم الطلاب فك الرموز والاستخدام المفيد لبرنامج تلفازي: قد يكون هذا درساً رائعاً في المطالعة!

- تنظيم دقيق وغير مندفع (3-4 مرات خلال العام الدراسي) لحوار في الصف حول الاستهلاك المفيد للتلفاز، أو حول فيلم أو برنامج مُشوقين يشاهدان أثناء الدوام المدرسي.

إن الاقتراحين الأخيرين إذا طُبقا جيداً، فإنهما يسمحان للطفل:

- بتطوير حسه النقدي الخاص به.
- أن يشرف بنفسه على توازن أفضل بين تلفاز التسلية وتلفاز الثقافة.
- التأكد من توفر شروط جيدة جسدية وعقلية للمشاهدة والإصغاء

obeikandi.com

ولكـن مهما كانت حساسيـة المدرسين عالية، وكانـت رغبتهم صادقة، فلا بـد لاستيعاب ظاهرة التلفـاز في الصف من التذكـير بأمرين مهمين. أولاً، لا يجـوز أن يصبح التلفاز في المدرسة مالئـاً لأوقات الفراغ بحال من الأحوال، فـإذا كنا نشاهده خلال الدوام فيجـب أن تراعي هذه المشاهدة الانتباه، ووجود أهداف محددة من ورائها، وهذا يقتضي ثانياً رؤية مسبقة للبرنامج من قبل المدرس، وتحضيراً تعليمياً صارماً للموضوع.

إضافـة إلى هـذه النصائـح العمليـة الجاهـزة للاستعمـال مـن قبل المدرسـين، فنحـن نريد أن نوصل فيمـا يلي مجموعة مـن الأعمال الأكثر عمومـاً وطموحـاً للمؤسسة التعليمية، هـذه الإجـراءات مُستقاة من عمل الباحثة الأمريكية كيت مودي، ونحن ننقلها كما وردت في كتاب رونيه دوبو، آخر أجيال الكتابة:

في المدرسة

- تشجيـع النشاطـات العضلية، والرياضة بشكل عـام، والفعاليات الخلاقـة ـ الموسيقى والرسم والمسرح ـ لمحو الآثار السلبية لوسائل الإعلام الإلكترونية.
- إعطـاء الأولويـة لامتلاك المعـارف الأساسية، الكتابـة والقراءة والحسـاب يجـب أن تبقـى المهيمنـة خلال فـترة تشكيـل الذكاء و اكتساب المعرفة.
- تحديـد الوسائـل والتقنيـات المختلفة بما فيهـا الحواسيب، التي تدخـل ضمـن نظـرة شموليـة لـدور الإعـلام في التعليـم، ويجب إدخالها بتدرج كوسائل تعليمية مساعدة في كل مستويات الدراسة.

- التخطيط لاقتناء المعدات اللازمة للمدرسة كوسائل إنتاج: أولاً الآلات الناسخة، ثم أجهزة الڤيديو وشاشات العرض الملونة. وتعطى الأولوية للمدارس التي تستقبل الأطفال الأقل استعداداً لتلقي الدروس.
- تسجيل البرامج التلفازية اليومية التي يمكن لها أن تشكل وثائق تفيد في التعليم في كل مدرسة من المدارس.
- تكوين مراكز للأفلام الوثائقية تشمل المكتبة، ومكتبة الشرائح القابلة للعرض، ومكتبة أشرطة الڤيديو والأقراص المدمجة، والملفات الصحفية.
- تأهيل المدرسين لاستخدام وسائل الإعلام وتقنيات الحصول على المعلومة.
- تطوير الأبحاث بالتنسيق مع الدول الأخرى فيما يخص الدراسات التي تجرى على علاقة الإعلام بالتعليم.
- إنتاج أو المشاركة في إنتاج مسلسلات ذات طابع تعليمي.

كل هذه الأمنيات والاقتراحات والنصائح والطرق الأخرى العملية يجب ألا تنسينا أن التلفاز لن يدخل المدرسة من بابها الواسع في يوم من الأيام، وأنه سيبقى وسيلة محدودة لتعليم بعض الفروع، وحقل للدراسات الاجتماعية والنفسية يهتم به المدرسون المنفتحون والفضوليون، وباختصار تبقى هذه العلاقة بمثابة الغزل الخفيف، أما الزواج الحقيقي بين المدرسة والتلفاز فإنه لن يحدث أبداً، وذلك ببساطة لأن هاتين المؤسستين الثقيلتين مختلفتان جداً في أهدافهما ووسائلهما وطريقة عملهما وبنائهما، إن النقطة

obeikandl.com

الوحيـدة المشتركة بينهما هـي: أن إحداهما مجانية تقريباً وإجبارية، وأن الأخرى أمر لابد منه، ولكنه كريم وسهل بآن وتجاري بآن آخر.

وكلاهمـا يريد السيطـرة على الإنسـان دون الاهتمام بمـا يحيط به. طريقـان يعتقـدان بأنهما حُـران مستقلان مستقيمان وعـادلان، ولكنهما لا يتبعـان سوى أعـراف وتحايل وتـردد وتنازلات مجتمعنـا، وسواء كانت المسارات مستقيمة أو مائلة ـ وما يغير هذا؟ ـ فإن عالمي المدرسة والعملاق التلفـازي يسـيران علـى مسارين أو مدارين متوازيين، وحسـب قواعد الرياضيات الثابتة فالمستقيمان المتوازيان لا يلتقيان أبداً!

مُدانون على كل حال

سابقاً كنا نحذر الأطفال من الأشخاص المجهولين الذين يقدمون الحلـوى على باب المدرسة، وإذا بنا بالشخص المُغَرِر الذي كنا نحذر منـه يدخل إلى بيوتنا عن طريق موجات الكبل، ويديه مليئة بالحلوى والهدايـا، وإذا بالسلطـة الأبويـة التـي هددهـا سابقـاً الاستقلال المتزايـد، وتفلت الأخلاق، يـزداد تهديداً من الداخـل، إن معارضة الأقـوال المقنعـة التـي تصدر عن جهـاز التلفاز يعتبر قهـراً، ولكننا بدايـة لجأنـا للتلفـاز لنحصل على الهـدوء دون اللجـوء للقهر، وإن رفضـ الكنوز التي تعرضها الإعلانـات التجارية هو حرمان للطفل، وهو يعرضه للمنع من التمتع بالعرف السائد في مجتمع الأطفال....، وباختصار هو إجباره على أن يكون مختلفاً عن قرنائه.

إن تعـدد الضغـوط الممارسة علـى الطفل يؤدي لظهـور نزاعات عديـدة، بينمـا تبـدو العائلـة غالبـاً عاجزة عـن السيطـرة عليها:

فالنسيج من الأعراف التي تحكم العلاقات الداخلية ضمن العائلة بدأ يهترئ ويتلاشى، والعائلات التي لا تزال تقاوم هذا التراجع تجد نفسها محاصرة من كل جانب، فالتنازل يعني الخضوع لأمر آتٍ من خارج العائلة، أما المقاومة فتعني الانغلاق، وسواء قاوم الوالدان أو استسلما فإنهما ملامان، ولا يملكان السيطرة على أطفالهم.

كلود فيشلر، عالم التربية، عدد تشرين الثاني 1979م.

الوالدان

يعني صاحب الأفكار الثورية المشهور الروسي باكونين المعروف بفكره الفوضوي الموسوم بالمبالغة أن الطفل لا يتبع والديه ولا مدرسيه وإنما حريته الشخصية، ولكن من الواضح كذلك أن الوالدين والمدرسين يجب عليهم مساعدة الطفل على استيعاب هذه الحرية وتحديدها والحصول عليها.

لابد أن القارئ من خلال تقدمه في قراءة هذا الكتاب ولو بسرعة فهم أن التلفاز عندما يستهلك دون استيعاب يشابه وجبة سريعة ثقافية، أو تسلية بديلة تؤدي إلى تقييد الإنسان بدلاً من تحريره.

على من طبخ العجل أن يلعقه!

بما أن المدرسة كما رأينا للتو لا تملك الوسائل والكفاءة، ولا تملك بنية تساعدها على الإشراف أو على هضم استهلاك الطلاب للتلفاز، فالمسؤولية تقع على عاتق الوالدين.

وهذا واضح بدون شك؛ لأنهما هما اللذان جلبا التلفاز إلى المنزل، وهما اللذان يدفعان ضريبته المالية، وهما كذلك اللذان يعطيان القدوة

لأبنائهما من خلال المشاهدة المستغرقة للتلفاز، وأخيراً، فتحت أنظارهما ومسؤوليتهما حيث يتمتع أبناؤهما بجرعات الإدمان على الشاشة الصغيرة في المنزل العائلي.

فالتلفاز يعتبر جهازاً منزلياً من ضمن الأجهزة المنزلية، ولكن الله وحده يعلم كم هو صعب ترويضه!

صعب ترويضه ولكنه ممكن بشرط أن يقبل الوالدان أن يستعيدا زمام المبادرة، وأن يمارسا دورهما التربوي، وأن يتعلما أن يستوعبا أطفالهما بموضوعية، وأن يبحثا عن توازن حي في حياتهما وفي طريقة تربيتهما للأطفال، إن التحمل الناجم عن الضعف والتراخي التربوي ليس إلا شكلاً مقنعاً للجبن أو اللامبالاة وذلك أسوأ، فالطفل الذي عُومل كالملك سيجد نفساً عاجلاً أم آجلاً عبداً مجرداً من كل حيلة في مواجهة متطلبات الحياة، فالأطفال يحتاجون لقيود و أنظمة واضحة دقيقة، قد يتجاوزوها أحياناً وقد يخرقوها نادراً مدركين أخطار هذا العمل والعقوبات المترتبة عليه، وهذا جزء من قواعد اللعبة.

يحتاج الشباب لقدوة وضوابط أكثر من حاجتهم للمعرفة، ويبدأ هذا في المنزل وفي حضن العائلة، فلماذا لا نبدأ بأن نضع مع الطفل معايير محددة وحدوداً قابلة للتفاوض فيما يتعلق بمشاهدته للتلفاز وممارسته هواياته؟

قبل أن نعرض بعض الآراء والنصائح والأفكار، وربما الطرق والمعايير في هذه الأدغال التي تمثلها تربية الأطفال بالنسبة للكثير من الآباء، نود أن نرد على بعض ردود الفعل و الاعتراضات التي ولدتها بعض كتاباتنا، أو التي لاقيناها أثناء نقاشاتنا الحادة أحياناً حول موضوع الطفل والتلفاز. «من

أولئـك الذين تعاشرون؟»، «في أي وسط تعيشـون؟»، «أنا لم أرَ قط مثل هذا عند أطفالي»، «عندنا لا تجري الأمور أبداً كما يحلو لكم أن تعمموه»...

نحـن نعترف بطيبـة خاطر بأن حياتنا العائلية ليسـت القاعدة، وربما كانت الاستثناء، ولكننا نطلب منكم بالمقابل الاعتراف بذات الشيء.

إن مجـرد قـراءة هـذه الصفحات يؤكـد أنكـم تطالعون وتقبلـون أن تحصلـوا على معلومات تتعلق بالتربيـة، ولذلك فغالب الظن ألا تكونوا من أولئـك الآباء الذين يتخلون عـن أبنائهم، ويتركونهـم أياماً بكاملها تحت رحمة هذه المَخَيلة* التي يمثلها التلفاز.

يجـب عليكـم أن تتفحصـوا البرنامـج معهـم، وأن تشاهـدوه أحياناً بصحبتهـم، وأن تدعوهم يتكلمـون حول ما شاهدوه وأحسـوا به، إن هذا التصـرف سوف يجعـل منكما والديـن غير نمطيـين، ولا تمثلان مجموع الآباء الفرنسيين الذين لا يقرأ خمس وسبعون بالمئة منهم أبداً كتباً تربوية، ويعتبرون أن أبناءهم هم في أحسن أحوالهم أمام التلفاز؛ لأنه يستطيع أن يحافـظ على هدوئهم، ويمنعهم من المغامرات والأخطار في الطريق، أو في أماكن اللعب.

آباء فقراء، آباء تعيسون

إننا نلمـس هنا إحدى تناقضات هذه الصفحـات، لأنها ستُقرأ خاصةً مـن قبل أشخاص ليسوا بحاجة إليهـا، وسيجدون صعوبة في التعرف على أنفسهـم من خلال الحـالات المعروضة لأنها لا تمثلهـم، وهذه الصفحات

* المخيلة: هي ما يُوضع في الحقل من أشياء تشبه بشكلها الإنسان لتبعد الطيور عن الزرع.

لـن تصـل الأشخاص الذين قـد يستفيدوا منها أكثر مـن غيرهم، ولكننا نأمـل أن يجـد فيها الأوائل دعمـاً لهم في مواقفهم التربويـة ـ فكل الناس بحاجـة كبـيرة للدعم المعنوي! ـــ وقد يكتشفون من خلالهـا بعض الطرق غـير المعروفة، وخاصة فإنهم سيتعلمون كيف يُعلِمون وينصحون ويدعمون غيرهم، الكثيرون من الأهل وأطفالهم هم بحاجة فعلاً للمساعدة، وخاصة منهـم الذين ينتمـون للطبقات الاجتماعية المتواضعـة، وذلك لأنه بحسب أقـوال جوديت لازار «إن وقت المشاهدة ذو علاقة مباشرة بالوسط الثقافي الاجتماعي». هذه الملاحظة أكدتها معظم الدراسات التي أجريت في بلدان مختلفة، وأثبتها فرانسوا ماريه بعد دراسة أجراها قبل عشر سنوات.

إن مؤلف كتاب «دعوهم يشاهدوا التلفاز» وصل إلى استنتاجات مختلفة تمامـاً عن تلـك التي احتواهـا كتابه المنشـور عام 1989م لأنـه كان يقول وقتهـا: «وكي نلخص الموضـوع فإننا نقول بأنه خـلال الوقت الذي يشاهد فيه أبناء العمال التلفاز، الذي يمكن اعتباره حاضنة أطفال الفقراء، يقوم أبناء الموسريـن بممارسة الرياضة، وعزف الموسيقـى، ويحضرون دروس الغـد، ويقرؤون أو يمشون خارج المنزل، إن تلفاز يوم الأربعاء (يوم العطلة المدرسية في فرنسا) يلعب دوراً مُكَرِساً للفوارق الاجتماعية الثقافية».

التلفـاز هو وسيلة تسلية رخيصة، فمقابل حفنة من القروش يمكننا أن نشاهد خمس أو ست محطات يومياً.

وهو رقـم تضاف إليه زيادة مالية بسيطة، يُضاعـف مرتين أو ثلاثاً أو عشر مرات بحسـب ما قرره الوالدان، من اقتناء طبق استقبال هوائي، أو الاشتراك لدى شركة كابلات.

هل يُمنع المنع؟

جهاز جديد يسمح للوالدين بتحديد وقت المشاهدة لأبنائهم، وهذا يقلق الاختصاصيين النفسيين.

جهاز إيقاف التلفاز لم يحصل على موافقة الجميع، «إنه يذكرني بجهاز ظهر في الستينات، نوع من «مُوقِف تبول» يقرع جرساً عندما يبدأ الطفل بتبليل فراشه، هذا ما علقت به كريستين بيفاريتي، وهي ربة عائلة ورئيسة مدرسة الآباء في جنيف، إن هذا يعاكس نظريتنا التربوية». ولكنها لا تنكر حقيقة أن التلفاز أصبح مصدراً للنزاع ضمن العائلة، يتلقى هاتف هذه المدرسة العديد من الاتصالات بخصوص هذا الموضوع، «من الأفضل حدوث نزاع جدي، ولكن يجب استمرار الحوار». وبحسب رأيها فإن هذه المشكلة يمكن لها أن تتيح الفرصة للبالغين ليتساءلوا عن طريقة استخدامهم للتلفاز: «لا أستطيع أن أخبركم كم هو عدد الأهل الذين يشاهدون برامج سيئة للغاية.....».

وتشاركها الرأي غيميت فور ــ المسؤولة عن الأبحاث في قسم الإحصاء الإعلامي في باريس ـ : «تشير إحصائياتنا الفرنسية التي أجريت عام 1993م إلى أن الطفل بين 4-10 سنوات يشاهد التلفاز أقل من ساعتين بقليل في اليوم، وهذا رقم ينقص قليلاً عن سابقه في العام الذي قبله، أما البالغون فوق عمر الخمسين فيشاهدونه لمدة تزيد عن أربع ساعات باليوم وسطياً، وأنا أعتبر هذا الرقم أكثر خطورة». أما إحصائيات العام 1993م التي قام بها التلفاز السويسري

الناطق بالفرنسية TSR فهي مشابهة لما ذُكر، ففي سويسرا الناطقة بالفرنسية يشاهد الطفل الذي يتراوح عمره بين 3-14 سنة التلفاز لمدة 79 دقيقة باليوم مقابل 85 دقيقة في العام 1992م.

«لن أشتري أبداً مثل هذا الجهاز» أفادت السيدة دومينيك ميرسييه - وهي اختصاصية نفسية، وأم لصبيين صغيرين - أنا أفضل أن أشرف بنفسي على الوقت الذي يقضيه أطفالي أمام التلفاز، وإن أدى هذا إلى الدخول في نزاع معهم».

العديد من الأهل يرفض فكرة «التخلي عن المسؤولية» التي يمثلها جهاز التحكم بمشاهدة الأطفال للتلفاز، فمن السهل الاستسلام، واللجوء إلى آلة هرباً من المشكلة التربوية الأصلية، ما يُعرض عليه. هذه أقوال إيزابيل يعقوبيان، وهي اختصاصية نفسية لدى صغار الأطفال، وتضيف أن موقف الطفل يكون عادة نسخة عن موقف أبويه».

«إن تركيب ... يعني أن نمنع الآخرين مما نقوم به، فالتلفاز موجود ويجب أن نتعلم كيف نتعايش معه». يشاهد أطفالها (2.5 سنة و5 سنوات) التلفاز قليلاً كل يوم: «أظن أن الطفل بإمكانه أن يشاهد تقريباً كل شيء يعرض على التلفاز بشرط أن يكون أحد الراشدين بجانبه ليساعده على تكوين تفكير نقدي.

إيزابيل موسي، جريدة اليومية الجديدة (لونوڤو كوتيديان) الأربعاء 20 نيسان 1994م.

تبقى كلفة هذا الأمر أقل بكثير من كلفة ذهاب عائلة (4-5 أشخاص) إلى السينما أو المسرح، ويزيد الفرق إذا أضفنا لأجر الدخول كلفة التنقل،

obeikandl.com

وربما وجبة خفيفة، دون حساب «ضياع» الوقت، الذي لا يؤثر على ميزانية العائلة، ولكنه يمنع الكثيرين من الآباء المرهقين بأسبوع من العمل، والذي ينتظـرون بفارغ الصبر ساعـات الراحة في المنزل العائلـي، من القيام به ويفضلون البقاء في المنزل حيث يستطيع التلفاز إبقاء الأطفال هادئين.

إن حصول العائلة علـى بعض الترفيه والتسلية والمتعة الثقافية هو أمر مُكلف في هذه الأيام، ونفهم من ذلك لماذا لجأت نسبة كبيرة من العائلات للتلفاز، فهو عملي ودائم الحضور لحل مشكلة شغل أوقات الأطفال.

في سويسـرا 50% من العائلات لديها جهازا تلفاز على الأقل، وعندما نعرف أن عدداً كبيراً من العائلات فيها أحد الوالدين فقط، فتكون النتيجة وجود والد واحد مقابل شاشتي تلفاز.

يمكننـا أن نتفهـم ــ دون أن نؤيـد ــ كل أولئـك الآباء الذيـن يبحثون عـن السهولة، التي لا تكلف جهـداً يبذل، والأرخـص دون شك، ولكن من الضـروري والعاجـل أن نخبرهم أن ثقتهم في التلفـاز هي في غير مكانها، وأن أطفالهـم المدمنـين عليه، المتروكين وحدهم أمـام الشاشة الصغيرة، يتجهـون نحـو مستقبل عاطفي غير مستقـر، فالسيدة ليليـان لورسا التي قامـت باستطلاع رأي 421 من طلاب الحضانة تلخص دراستها بالآتي: «هـؤلاء الأطفـال يُظهرون بأوضح الأشـكال وأبرئها جهـل الآباء الذين لا يـرون ما يشاهـد أبناؤهم، ويشعـرون بالاطمئنـان لأن البرامج المشاهدة مخصصـة للأطفال، ويتجاهلـون كذلك ما يصيبهم مـن الرعب ليلاً في غرف نومهم من جراء هذه المشاهدة.

الكثير من الآباء لا يخطر على بالهم أن زمام التحكم بتربية أولادهم لم يعد بيدهم عندما يتركونهم تحت رحمة ما يعتقدون بأنه مجرد وسيلة تسلية يومية، فتكرار الصراخ والعنف والهيجان المدمر ورؤية الأشكال الوحشية اليومي يفرض نفسه خالقاً جواً من الذعر، ويغير الحس الذوقي فيصبح حاجة». انتهى كلام ليليان لورسا.

حاجة دائمة وإدمان حقيقي يكتب عنه جاك بيقتو قائلاً: «لاحقاً في حياتهم عندما يتعرض أولئك الذين شاهدوا التلفاز كثيراً في طفولتهم للإخفاق والفشل وحتى العزلة، فإنهم يعودون إلى مشاهدته من جديد. لقد بدأنا نستوعب أن الذين يشاهدون التلفاز كثيراً عند نضجهم هم أنفسهم الذين تابعوه بكثرة في طفولتهم، وهنا كذلك يبدو أن فرويد مُحق، فنحن لا نشفى أبداً مما نالنا في طفولتنا!».

لم يعد التلفاز يحتل في أيامنا المكان الذي احتله سابقاً، فما كان يستخدم في أيام طفولتنا لم يعد صالحاً للاستعمال اليوم بشكله القديم. فعلى الوالدين أن يتزودوا بطاقة لا متناهية وخيال واسع ليعطوا البدائل عن مشاهدة التلفاز لأطفالهم، وعندما يكبر الأطفال فإن السلطة والحزم لا يكفيان، ويجد الكثير منهم أنفسهم وقد تجاوزتهم الأمور فيتخلون عن دورهم، ولأنهم لا يريدون الاعتراف بذلك، فإنهم يبحثون عن أعذار هم غير مقتنعين بها كذلك، هؤلاء الآباء هم بحاجة لمن يستمع إليهم ويدعمهم ويرشدهم، وليسوا بحاجة للنقد كما يحصل غالباً، وبإمكانهم أن يجدوا بين النصائح التي نقدمها لهم فيما يلي بكل تواضع ما يناسبهم، ويمكنهم أن يعدلوه ليتماشى مع وضعهم العائلي الخاص بهم؛ لأنه كما قلنا سابقاً، لا يوجد في مشكلة الشاشة الصغيرة طفل وعائلة، وإنما أطفال وعائلات!

شاشات الفشل المدرسي

(...) يبدو أن المبالغة في مشاهدة الرائي هي أحد أسباب الفشل في المدرسة، إضافة للهياج وعدم القدرة على التركيز.

ويفسر التأثير السلبي للوقت الذي يقضونه أمام الشاشة الصغيرة النتائج غير الجيدة التي يحصل عليها «مدمنو التلفاز» عند تعرضهم لاختبارات الذاكرة إضافة لنتائجهم الدراسية: فالأطفال الذين يحصلون على أفضل العلامات في المدرسة هم الذين يخصصون أقل من خمسين دقيقة في اليوم لمشاهدة الرائي، بينما يقضي الذين يحصلون على الدرجات السيئة أكثر من ساعتين يومياً أمام التلفاز.

«يعلق الأستاذ روفو قائلاً: ليس التلفاز جيداً أو سيئاً بحد ذاته. وليست المبالغة في مشاهدته هي التي يجب أن تدعونا للقلق، بقدر الطريقة التي يعيش فيها الطفل هذه المشاهدة، انبهار كامل على حساب كل حياة خلاقة للبعض، ووسيلة للخيال بالنسبة للبعض الآخر.

فلا أهمية لبقائهم أمام التلفاز ساعات في الحالة الأخيرة، وقد يكون من الأفضل لهم أن يقلبوا المحطات، فالتقليب في هذه الحالة ليس إلا علامة لصحة عقلية ممتازة، ووسيلة للتخلص من السلبية والعطالة».

ما النصائح التي يمكن أن يقدمها طبيب نفسي اختصاصي بالأطفال للوالدين القلقين لدى مشاهدتهما لنتائج استطلاعه؟

«المهم هو أن نهتم نحن كبالغين بما يشاهده أطفالنا، وأن نتناقش معهم بخصوصه، هل يحصل أن نتأخر في النوم لنشاركهم

obeikandl.com

متعــة مشاهدة برنامج على التلفــاز معاً؟ فنوعية النوم أهم من عدد ساعاته، ونحن ننام بشكل أفضل بعد حديث جيد!»
كالرولين هيلفنر، في عالم التربية، عدد أيار 1991م.

نصائح واقتراحات موجهة للوالدين

- الحصــول علــى معلومات حول محتوى ومدة ونوعية البرامج التي يشاهدهــا الأطفال، والتحقق من مناسبــة البرنامج المختار للطفل المعني بالأمر.
- مشاركة الطفل في اختياره لما يشاهد، والاحتفاظ بحق رفض بعضه.
- التأكد من توفر وشروط مشاهدة وسماع جيدة.
- مراقبة استخدام جهاز الفيديو.
- منع تناول الطعام أثناء مشاهدة الرائي.
- مشاركــة الأطفال متعتهم والاستمــاع لهم ومناقشتهم، ومشاهدة التلفــاز معهــم، السماح للأطفال باللعب وتقليد مــا شاهدوه، فهذا يساعدهــم على التخلص من مخاوفهــم ويعينهم علــى استيعاب الواقع دون كبح جماح الخيال.
- الضغــط علــى النفس لمصاحبة الطفل المشاهــد للتلفاز لرؤية ما يــرى، وللتدخــل أحيانــاً لإعادة بعض الأمــور إلى نصابها، ويجب منعه من رؤية المناظر المرعبة التي قد تترك بصمتها عليه دائماً.

obeikandl.com

- عـدم التساهل بشأن الكوابيس التي يمكن أن يسببها الرائي، مع عـدم تجاهل حقيقـة أن النزاعات العائلية هـي التي تدفع الأطفال للجوء للتلفاز.
- عـدم استخـدام الحرمان مـن الرائي كعقوبة، فمنـع الطفل من مشاهدته ليست أفضل الوسائل لإشعاره بالمسؤولية.
- يجب أن ننوع الخيارات الثقافية المتاحة للأطفال الصغار، وأن تكون لدينـا بدائل لها، يعطي الرائي الانطباع بأنه بإمكاننا التخلي عن بذل الجهـد والوقت للوصول للمعرفة، ولذلك يجب الانتباه إلى عدم دخول التلفاز كمنافس للعب والمطالعة، فهو لا يمكنه أن يحل محلهما.
- يجـب ألا تتحول مشاهدة الرائـي إلى طقس من الطقوس، وهذا يعنـي أن تصبـح أمـراً يوميـاً لابد منـه، ولا يمكـن الاستغناء عنه كالطعام والنوم.
- تعليـم الأطفال إيقـاف الرائي: بالابتعاد عـن المشاهدة الطويلة، والمبادرة بتحديد وقت المشاهدة!
- أمـا الأطفـال الأكبر سناً فيجب تعليمهـم كيف يستخدمون جهاز الفيديـو ليستفيـدوا أكـثر مـن البرامـج والوقـت؛ لأن المحطـات الحكومية الأقل سوءاً لا تصبح حقيقة موجهة لعموم الناس وثقافية ومفيدة إلا بعد الساعة العاشرة والنصف ليلاً، أما قبل هذا الوقت فالبـث عبـارة عن مصيدة أداتهـا الإثارة، و هدفهـا التنافس على جذب العدد الأكبر من المشاهدين.

obeikandi.com

إلى هذا الجدول مـن المواقف المثالية والإجراءات العملية نحن نضيف الاقتراحات المباشرة والقسرية التي تقترحها كيت مودي:

- إلغاء التلفاز نهائياً بالنسبة للأطفال الصغار جداً، وهذه الفكرة يدافـع عنها بعض المختصين بالأطفال: لا يسمـح بالتلفاز طالما أن الطفل لم يتعلم القراءة بعد.
- تقليل ساعات المشاهدة: ساعة في اليوم كحد أقصى.

يمكن إعطاء بعض الاستثناءات خلال عطلة نهايـة الأسبوع، وعندما يكون الطقس سيئاً، بشرط أن يشاهد الأطفال والأبوان البرامج المختارة.

- بالنسبـة للأطفـال بين عمـر 8-15 سنة: عليهم أن يقـرؤوا صفحة برنامج التلفاز في مجلة من المجلات أو الجرائد، وبقلم ملون يشيرون إلى ما يرغبون برؤيته من البرامج، ثم يرتبون جدولاً لما سيشاهدونه خلال أسبـوع كامل، ولكن يجب الانتباه إلى أنـه لا يحق للوالدين أن يمضيا أمام التلفاز وقتاً يزيد عن الوقت المخصص للأطفال.

هـذه النصائح التي جنيناها خلال مطالعتنا، والتي تتماشى مع الحس السليم، واستخدمنا بعضها مع أطفالنا فحققت بعض النجاح، وهي أفكار ليست حصرية ويمكن تعديلها بحسب الرغبة، ونحن ما فتئنا نكرر هذا.

إن هـدف هذه النصائح الرئيس هو دفع الآباء للتفكير، ومنحهم الثقة والقـدرة على تربية أطفالهـم، وهذا الأمر لا يتم إلا بشـيء من التضحية بالوقت والجهد، إضافة للاستعداد للبذل والإصغاء لما يقوله الأطفال.

obeikandl.com

إن إدمـان الأطفـال علـى التلفاز ليسـ إلا نتيجة للمنـاخ العائلي، هذا الوسـط العائلي يمكنـه رغم وجود التلفاز أن يتوجه نحـو التحسن بمضاء عن طريق المشاهدة المشتركة للرائي كلما تمكنا من ذلك، والحوار وتبادل الأفكار مع الأطفال، إضافة للكلمات، يتبادل أفراد العائلة الذين يشاهدون التلفـاز معاً العواطـف والأحاسيس التي يعيشونها معـاً، والحب هو كذلك إحساسـ، وربما هو الإحساس الأجمل، وبدونه لا توجـد تربية، إذاً عليكم أيهـا الآباء أن تشاركوا أطفالكم حياتهـم و تساعدوهم وتحبوهم، وحولوا هذا التلفاز المُفرِق إلى تلفاز مُوحِد! ولنختم كلامنا، فنحن نستميح سانت أكزوبـيري عـذراً لأننا سنتصرف قليلاً بأحد أقوالـه: «الحب هو أن ننظر معاً في نفس الاتجاه إلى نفس البرنامج».

obeikandl.com

أغنية:
«لنتمشَ في الغابة
طالما أن التلفاز غير موجود بها»
«أصل الأغنية: لنتمشَ في الغابة
طالما أن الذئب غير موجود بها»

«أيها الرُعيان، لا يكون الذئب مخطئاً إلا عندما لا يكون الأقوى!»

جان دولا فونتين (1621م ــ 1695م)

من الذئب والرعيان.

الخلاصة

من يخاف من الذئب الشرير؟

قبل أن ننهي هذا الكتاب، لننظر إلى التلفاز للمرة الأخيرة وبإمعان، ولنقترب منه أكثر، فماذا نرى؟ ما الصور المشرقة أو القاتمة، المألوفة المحببة أو المخيفة؟ لماذا كل هذا الاستهتار دون مغزى، وكل هذه الأمور المرعبة المُولدة للكوابيس؟ ماذا يمثل هؤلاء الأبطال الرخيصون، وهذه الأخبار التي تُنقل بشكل مثير؟ ومن أين تأتي كل تكشيرات الحقد، وهذه البلاهات في الابتسامة المصطنعة التجارية؟ ولماذا هذا الذوق السقيم، ولماذا هذه السطحية المرعبة، وهذا الرفض للفهم والتحليل، وهذا الميل للأفكار المُسبقة التافهة؟

ألسنا نرى من خلال طيف الألوان الباهر على الشاشة صورة من أنفسنا في ذعرها الدنيء من الحياة، وفي اضطرابنا المضحك؟ أليست المخاطر التي نريد أن نحمي أطفالنا منها هي نفسها التي صنعناها بتؤدة من خلال تكوين مجتمعاتنا التي نعيش فيها؟ من أراد عالماً يتغلب فيه المال